[196] ثم إنهم يتجاحدون تجاحد المتكبرين، ومهما اتضح الحق على لسان أحدهم أنف الاخر من قبوله، ويتشمر بجحده، ويحتال لدفعه، بما يقدر عليه من التلبيس، وذلك من أخلاق الكافرين والمنافقين، إذ وصفهم ا تعالى فقال: " وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون " (1) وكذلك يحمل ذلك على الانفة من قبول الوعظ كما قال تعالى: " و إذا قيل له اتق ا أخذته العزة بالاثم " (2) وتكبر إبليس من ذلك. فهذه آفة من آفات الكبر عظيمة، ولذلك شرح رسول ا صلى ا عليه وآله الكبر بهاتين الافتين إذ سأله ثابت بن قيس فقال: يا رسول ا صلى ا عليه وآله إني امرؤ حبب إلي من الجمال ما ترى أفمن الكبر هو ؟ فقال صلى ا عليه وآله: لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس، وفي حديث آخر من سفه الحق، وقوله: " غمص الناس " أي ازدراهم واستحقرهم، وهم عباد ا أمثاله، وخير منه، وهذه الافة الاولى، وقوله سفه الحق هو رده به وهذه الافة الثانية. ثم اعلم أنه لا يتكبر إلا من استعظم نفسه، ولا يستعظمها إلا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال، ومجامع ذلك يرجع إلى كمال ديني أو دنيوي والديني هو العلم والعمل، والدنيوي هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار. فهذه سبعة. الاول: العلم وما اسرع الكبر إلى العلماء، ولذلك قال صلى ا عليه وآله: آفة العلم الخيلاء فهو يتعزز بعز العلم، ويستعظم نفسه، ويستحقر الناس وينظر إليهم نظره إلى البهايم، ويتوقع منهم الاكرام والابتداء بالسلام، ويستخدمهم ولا يعتني بشأنهم، هذا فيما يتعلق بالدنيا وأما في الاخرة، فبأن يرى نفسه عند ا أعلى وأفضل منهم، فيخاف عليهم أكثر مما يخافه على نفسه، ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم، وهذا بأن يسمى جاهلا أولى من أن يسمى عالما، بل العلم الحقيقي

_____ (1) فصلت: 26. (2) البقرة: 206.